قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين



دار الشروق

الطبعـــة الأولـى
١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

الطبعـــة الثانيـة
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

الطبعـــة الثالثـة
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

© دار الشروق
القاهرة : ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ برقيا : داشروق - تلكس : SHOROK 20175 LE

قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم: أحمد بهجت
ريشة: مصطفى حسين

دار الشروق



حين تباعدَ اليهودُ عن تَعاليم التَّوراةِ التي نَـزلتْ على مـوسىٰ عليه السلام ، حين هَجروا كثيراً من تَعاليمِه وأَوامِرِه ، عندئذٍ وقـعَ لهم مـا يقعُ لكـلِّ أُمةٍ تهجرُ كِتـابَهـا أو تُضيعُ أَوامرَ نَبيِّـها المُرسلِ . .

تَـدهـورتْ أَحـوالُ بني إسـرائيـلَ عنـدئذٍ . . وهُـزِمـوا من أَعـدائِهم . . وآستولىٰ الأعداءُ على تابوتِ العهـدِ ، وفيه بقيةٌ مما تركَ آلِ موسىٰ وَهارونَ ، وتَشـرَّدوا في الأرضِ ، وطُـرِدوا مـن دِيارِهم ، وساءَتْ أَحـوالُهُم ، وشـاعَ الـذُّلُّ بينهم ، وحكَمَهُم الضَّعفُ ، ثم شـاءَ الله تبـاركَ وتعـالىٰ أن يَـرحَمَهُم فـأَرسلَ إليهم نَبيّـاً . . وبدأَ هـذا النبيُّ يَدعو قَومهُ إلى الله . .

وذات يومٍ ذهبَ كبارُ القومِ من بني إسـرائيـلَ إلى هـذا النبيِّ وقـالـوا لـه : أَليس الله هو الذي بعثكَ إلينا ؟

قال : نعم .

قـالـوا لـه : ألسنـا مُشـرَّدينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : ألسنا مَظلومينَ ؟

قال : نعم .

قـالوا : لمـاذا لا تَسألُ أَن يبعثَ لنـا مَلكاً يَجمعُنا تحت رايتـهِ كي نُقاتـلَ في سَبيـلِ الله ونَستعيـدَ حقَّنـا ونُصلحَ مـا



فَسدَ من أَحوالِنا ؟

قـال نَبِيُّهم :أَخافُ إن دعوتُ الله أن يَبعثَ لكُم ملِكاً يَدعوكُم إلى القتالِ ألا تُقاتِلوا .

قال كِبارُ القومِ :ولماذا لا نُقـاتِلُ في سَبيلِ الله وقد أُخرِجْنا من دِيارِنا وأَبنائِنا ؟

قال نَبيُّهم : لن تَتراجَعـوا لو حـدثَ ما تَطلُبونَه ؟

قـالـوا : أبـداً لن نَتـراجـعَ . .

قال نبيُّهم : سوف أسألُ الله تعالىٰ أن يختارَ لكم مَلِكاً تُقاتِلونَ تحت رايَتِه .

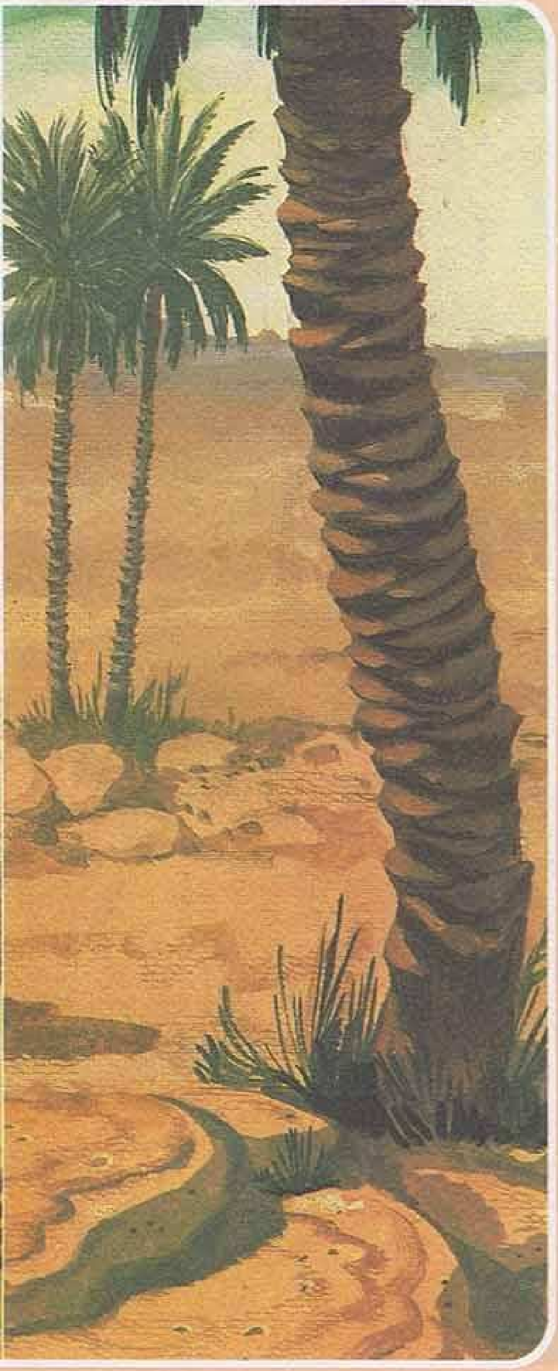
ٱنصـرفَ القـومُ ودَعـا النبـيُّ ربَّ العالمينَ أن يختارَ لهم مَلِكاً . .

في نفسِ الـوقتِ . . خرجَ طـالوتُ يَرعىٰ غَنَمه . . كان طالـوتُ واحِداً من بني إسرائيلَ ، وكـان قلبُه يَنطوي على الخيرِ ، وكان معه أَحدُ فِتيانِه ، فٱنشغلَ في حَديثٍ هامسٍ مَعَ الفتى ، فَشَردتْ غنمُه في السُّهولِ .

ثم ٱنتهىٰ حَديثُه مع الغُلامِ ، فنظَرَ حولَه فلم يـرَ الغنمَ ولاَ رأى الحميرَ . . قال لِغُلامِه: لقد ٱستغرقنا الحديثُ فسارتِ الأغنامُ في الصحراءِ.. تعالَ نبحثُ عنها . .

ٱنـطلقَ طالـوتُ في الصحراءِ بحثاً عن قَطيعهِ ، فسارَ مَسافةً طَويلةً ، حتى إذا أَجهَـدهُ التعبُ وٱنحـدرتِ الشمسُ نحـو المَغيبِ ولم يجدْ غنمَـه ويَئِسَ من العُثورِ عليها ، قرر أَن يذهبَ إلى النبيِّ ليسألَه أَين ضاعتْ . .

عـاد طـالـوتُ من الصحـراءِ وشقَّ طـريقَهُ إلى بيتِ نبيِّهم ودخـلَ عليه . .



قـال طالوتُ :أَيها النبيُّ الكريمُ . . خـرجتُ أرعىٰ الأغنـامَ والحميـرَ ، فَشردتْ مني في الصحراءِ ، ولم أعرفْ أَين ذهبتْ ، وقد جئتُ أسألُكَ عنها . .



سألَه النبيُّ : هل تَحسُّ بالقلقِ على أَغنامِكَ وحَميرِكَ ؟

قال طالوتُ : نعم . .

قـال النبيُّ : لا تُشغلْ بـالَك بهـا ، فقد عادتْ إلى بيت أَبيكَ . . دعكَ من مَوضوعِ الأغنامِ وآستمعْ إليَّ . . لقـد سـأَلني الَمـلأُ من بني إسـرائيـلَ أن أَدعـو الله أن يختـارَ لهم ملكـاً يُقـاتِلون



تحت رايتِـه في سبيـل الله ، وقـد دعـوتُ الله فـآختـاركَ ملِكـاً على بني إسرائيلَ .. وعليكَ أن تُعِدَّ نَفسكَ للقِتال.

سـألَ طـالـوتُ : الله هـو الـذي آختارَني ؟

قال : نعم . .

قـالَ طالـوتُ وهـو يَحسُّ بـالسّعـادةِ والرّهبةِ : أَنا رهنُ إشارتِكَ . .

قال النبيُّ : غداً نُقـابلُ رؤَسـاءَ بني إسرائيلَ .

جـاءَ الغـدُ ، فـآجتمَـع رُؤسـاءُ بني إسـرائيلَ وآجتمَـع معهم طـالـوتُ . .

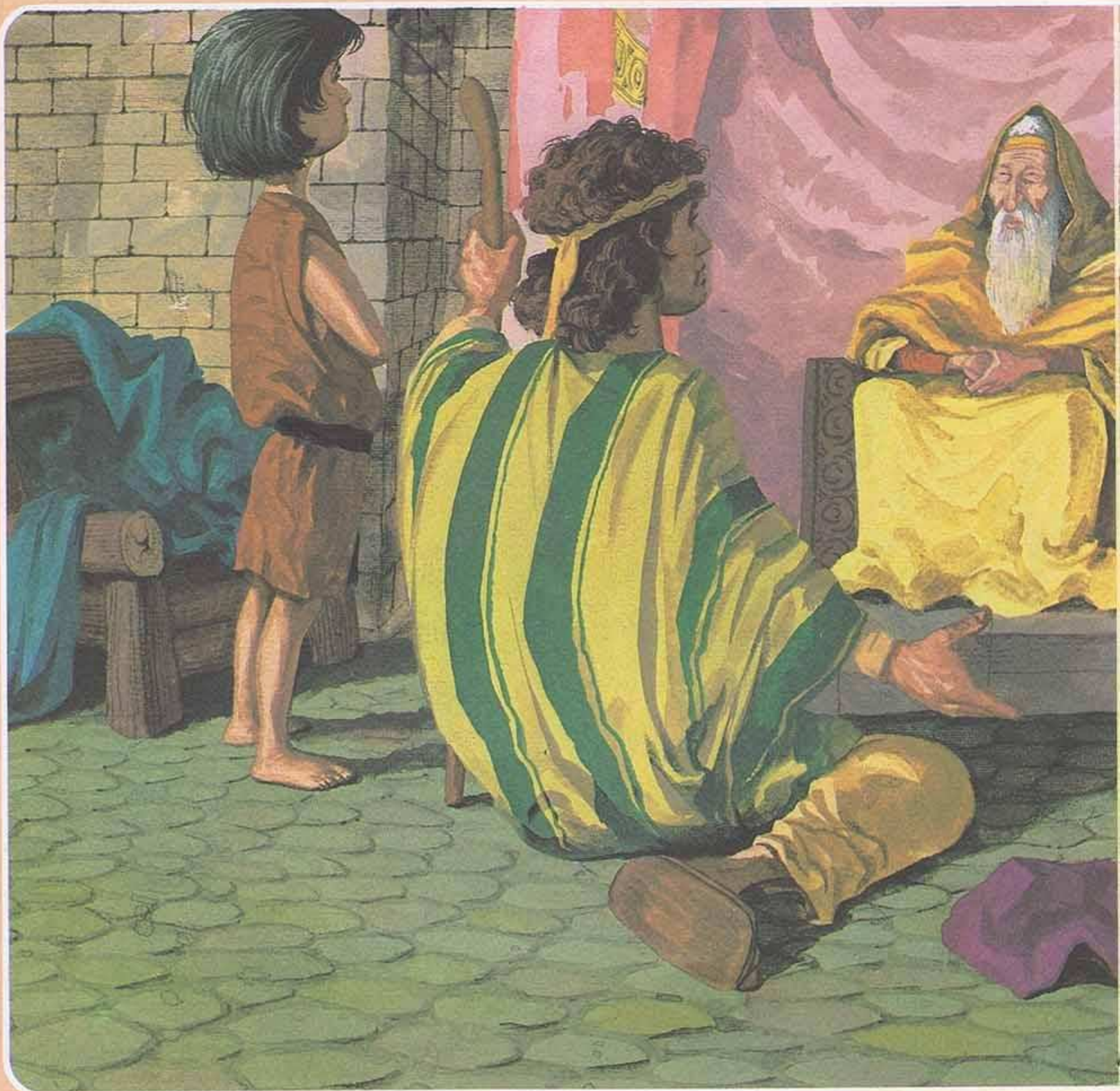
وقـال لهُم نبيُّهُم : إن الله قـد بعثَ لكُم طالوتَ مَلكاً . .

وَبـرزتْ عوامـلُ العِنـادِ في نُفـوسِ بني إسـرائيلَ فقـالوا : كيفَ يكـونُ لـه المُلكُ ونحن أَحقُّ بالمُلكِ منه ؟

سـأَلَهم نبيُّهُم : لمـاذا تَتَصـوَّرونَ أنكُم أَحقُّ بالمُلكِ منه ؟

قـال الرؤَسـاءُ : نحن أَغنىٰ كثيراً منه . . أنظرْ إليه . . إنه يَرتدي ملابسَ الرُّعاة الفقيرةِ . .

قال النبي : ليستِ العِبرةُ في حُكمِ الشُّعـوبِ بـالغِنى أو الفَقـر ، العِبـرةُ بـالقُـدرة على قِيـادةِ الشُّعـوب ، إن طالوتَ هو آختيارُ الله تعالىٰ لَكُم ، وقد آختارَه الله تعالىٰ لِعلمِه وقُدرَتِه .



عادَ رؤَساءُ بني إسرائيلَ يَقولونَ :
نحن نُصدِّقُك أَيها النبيُّ ، ولكن كيفَ
نَنسى أننا نحن شُرفاءُ هذه الأمَّة
وسادتُها ؟ فكيف تَجاهَلنا الله وآختارَه
هو ؟

قالَ النبيُّ : ليس لِمِثلي أَن
يسألَ الله لماذا ؟ إن الأنبياءَ لا يَسألونَ
وإنما يَستمِعون ويُطيعونَ .. وهذا هو

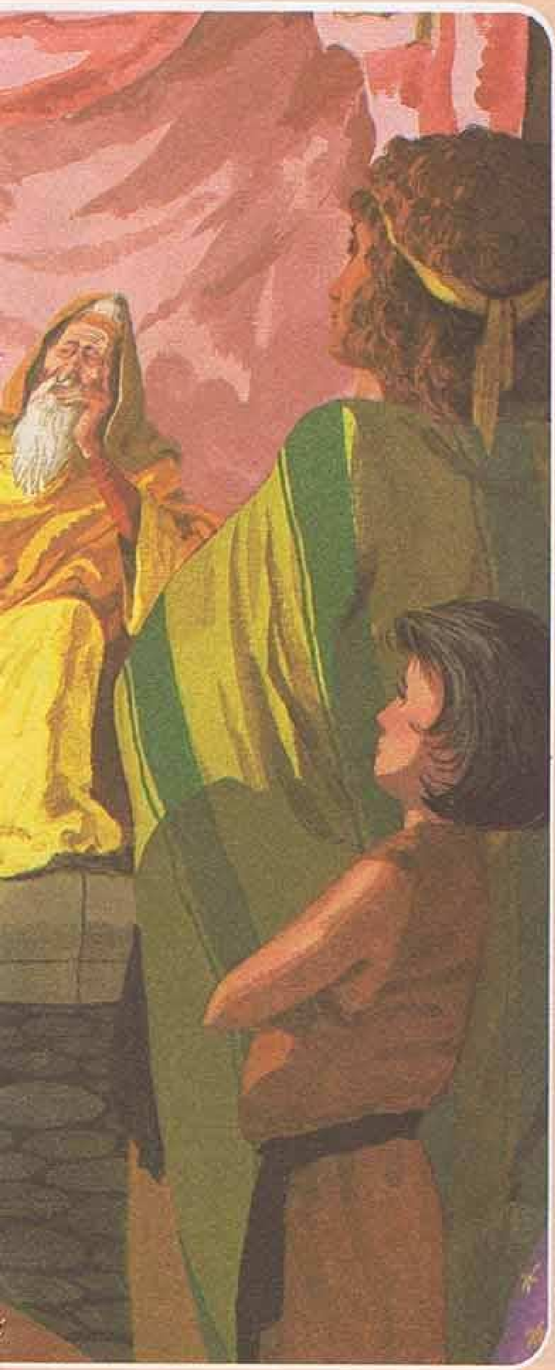
آختيارُ الله له . .

قال سادةُ بني إسـرائيلَ : أنتَ تسـدُّ عَلينـا بابَ الحِـوارِ أيّهـا النبيُّ . . نحن نُريدُ أن نَعرفَ لماذا آختيرَ طالوتُ ملكاً علينـا . . إن طالـوتَ فقيرٌ . . ومن الـرُّعـاةِ . . ليس من عـائِلةٍ كبيـرَة ولا تاريخَ له في الحرب ولا في الحُكمِ ولا في السِّيـاسـةِ . . أليس من حقِّنـا أن نسأَلَ لماذا فَضَّلَه الله علينا ؟

قـال النبيُّ : عِلمُه هـو الـذي فضَّلَه عليكُم . . لقـد آتـاهُ الله بَسـطةً في العِلمِ والجِسمِ . .

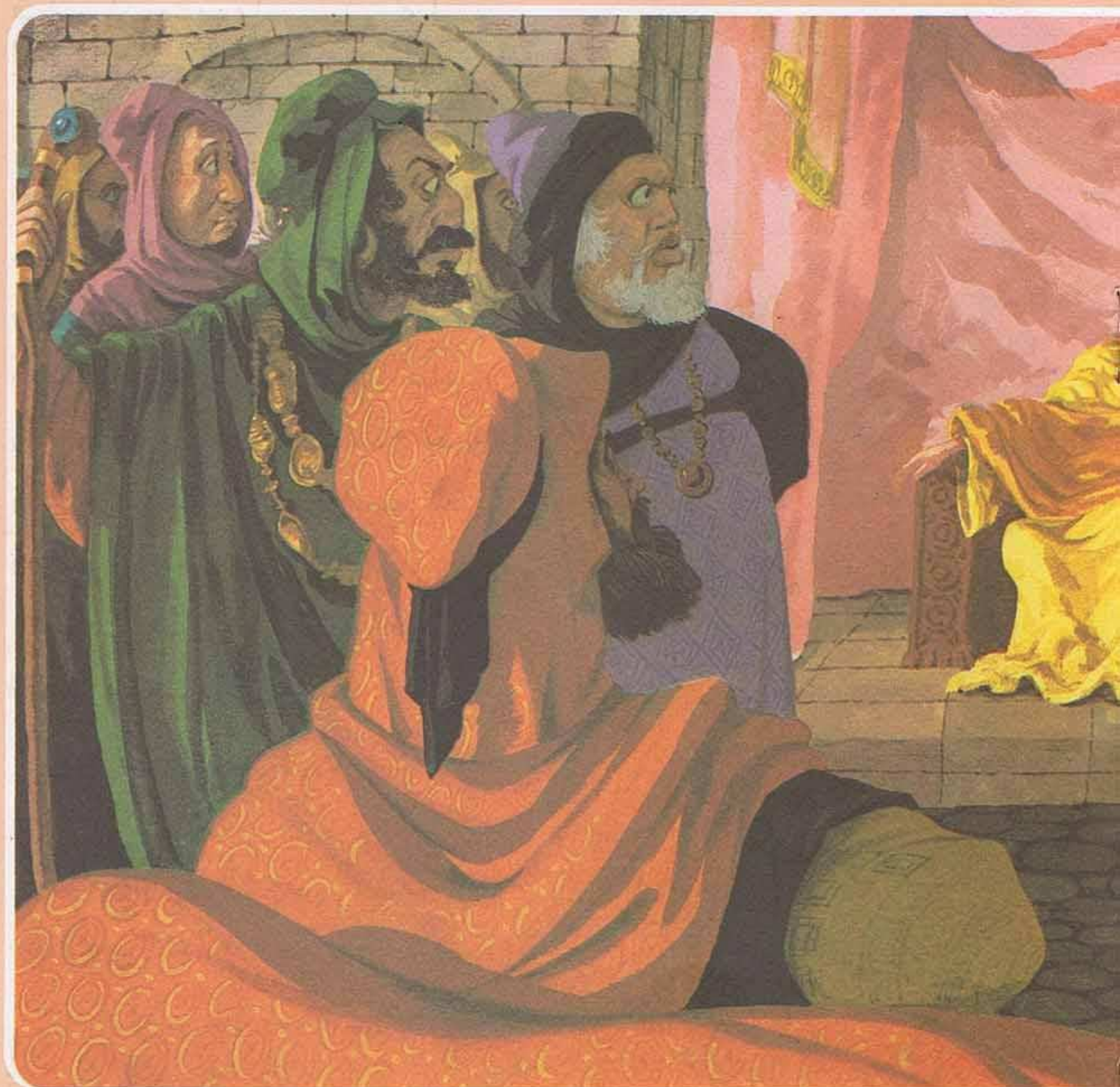
قال سادةُ بني إسرائيلَ : إنّ فينـا من هو أقوى منه جَسداً وأكثَر منه عِلماً . .

قـال النبيُّ : أَيُّهـا السَّـادة . . لقـد أَفهمتُكُم أَكثَـر من مـرةٍ أن العِبـرةَ في الحُكم بِقُـدرةِ الحـاكِم علـى قِيـادةِ الشعبِ ، ولقـد حـدَّثتكُم أن آختيـارَه للمُلكِ جـاءَ من الله . . وليس لـي أن أسألَ الله لماذا آختـارَه للمُلك . . لعله آختارَه لِيَبتَليه . . من يَدري ؟ إن أَحداً لا يعـرفُ أَسـرارَ الله وحِكمتَـه فـي خَلقِه .



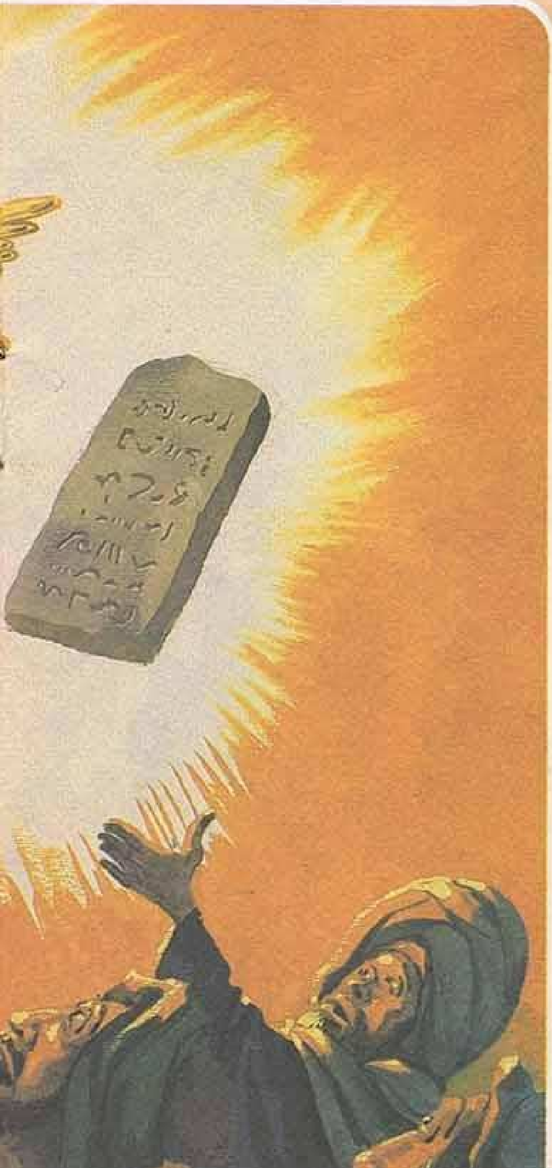
قال سادةُ بني إسرائيلَ : كيف نتأكَّدُ أَن الله هـو الـذي آختـارَه لنـا ؟ نُـريـدُ مُعجِزةً تُثبتُ صدقَه .

قالَ نبيُّهم : آذهبوا إلى المَعبـدِ غداً



فسوف تَقعُ المُعجزةُ ويَأْتيكُم تابوتُ العهدِ .

آحتَشدَ خلقٌ هائلٌ من بني إسرائيلَ في اليومِ التّالي آنتِظاراً لِوُقوعِ المُعجِزةِ . . كان تابوتُ العهدِ يَضُمُّ بَعضَ أَلواحِ التوراةِ التي أُنزلتْ على موسىٰ ، كما كان فيه بعضُ آثارٍ تَرَكَها موسىٰ وهارُون . . وكان هذا التابوتُ



قـد سُـلِبَ منهم وآسـتـولـى عـلـيـه عَدُوُّهم . .

وقـفَ النـاسُ يَـنـتـظِرونَ وُقـوعَ المُعجِـزَةِ . . وفي الوقتِ الـذي حدَّدهُ نبيُّهم فُـوجِئوا أن التـابـوتَ يَعـودُ إلى مكـانِه في المَعبـد ، حَملتهُ المـلائِكَةُ وَوضَعتهُ في مكانِه وسطَ دهشةِ النـاسِ وآنبِهـارِهم . . لم يَـروا المَـلائكـةَ ولكنَّهم رأوا تـابوتَ العَهـدِ يَسبحُ بِبطءٍ وجَلالٍ إلى مكانِهِ في المَعبدِ .

وأحسَّ النـاسُ بالسَّكينـةِ وآطمأنـّوا لاختيارِ طالوتَ مِلكاً عليهِم . .

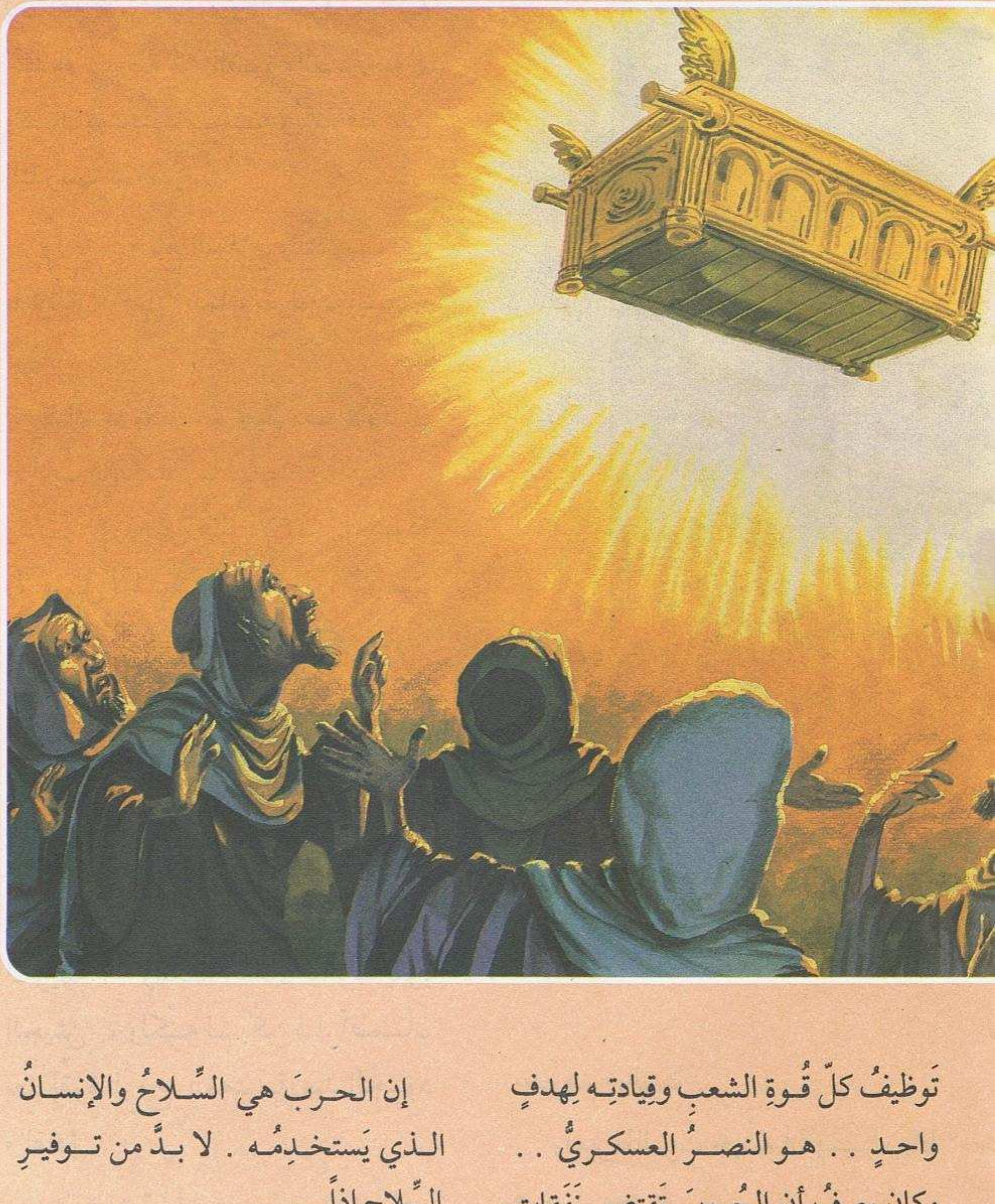
وهكـذا أصبحَ طـالـوتُ ملِكـاً على قَومِه . .

قَـدَّم الناسُ لـه فروضَ الـطّاعـةِ في حفلٍ كبيرٍ وآنتظَروا أوامِرَه . .

كان أولُ أمرٍ أصدَره طالـوتُ أن يَبدأَ تكـوينَ جيشٍ قـويٍّ يتَـدربُ عـلى القِتالِ . .

أرسـلَ طـالـوتُ في كـلِّ قُـرى بني إسـرائيـلَ يـدعـوُ الشبابَ القـادرَ على حملِ السلاحِ إلى الحـرب . . آنضمَّ إلى الجَيشِ جَمْـعٌ كثيـرٌ من الشبـابِ والرجالِ . . وبـدأتْ مصانـعُ الدُّروعِ والأسلحةِ تَعملُ ، وبـدأَ التدريبُ على آستِخدامِ الأسلحةِ . .

كان طالوتُ يعرفُ أن الحـربَ تَعني



تَوظيفُ كلّ قُوةِ الشعبِ وقِيادتِه لِهدفٍ واحدٍ . . هو النصرُ العسكريُّ . . وكان يعرفُ أن الحُروبَ تَقتضي نَفَقاتٍ كثيرةً وآستِعداداتٍ ضخمةً .

إن الحربَ هي السِّلاحُ والإنسانُ الذي يَستخدِمُه . لا بدَّ من توفيرِ السِّلاح إذاً . .

وبدَأ طالوتُ في تَوجيهِ كلِّ قُوةِ قَومِه

لِصناعةِ الأسلحةِ ، وكان يـرقُبُ بِنفسِه حظَّ الأسلِحةِ من القُوةِ والصَّلابـةِ ، وكـان يَمتحِنُها بنفسِـه ويُشرفُ على التَّدريب شَخصِيّاً .

وآستمرَّ صُنعُ السلاَح والتَّدريبِ فترةً طَويلةً ، حتى آطمأَنَّ طـالوتُ لِسِلاح قومِه . .

كـان عدوُّهُم هـو جـالـوتَ ، وكـان جالوتُ قائِداً عَظيماً لم يَهزمْهُ أَحـدٌ . . وكانَ يَتبعُه جيشٌ هائِلٌ لا نِهايةَ لِجُنودِه ولا مثيلَ لأسلحَتِه في القُوةِ . . وكـانَ جالوتُ يُشبِـهُ إعصاراً مُـدمِّراً لا يُقـاومُه أَحُد .

كان طالوتُ حَكيماً فأَدركَ أن جَوهَـر النَّصرِ لا يَكمُن في قُوةِ السلاحِ بقدرِ ما يَخضَـعُ لِقُوةِ الإرادةِ ، أدركَ أن الغَلَبـةَ ليستْ بـأَعـدادِ الجُنـودِ إنمـا بِصـلابـةِ العَزيمة . . وهكذا آطمأنَّ طالوتُ لِقُوةِ الجيشِ ، ولكنّـه لم يكُن قـد آطمـأنّ بعد لِقُوةِ الرُّوحِ المَعنويّـةِ عند الجُنـودِ والقادةِ . .

ولهـذا قـرّرَ أن يَمتحنَ هـذا الجيشَ قبل أَن يَخوضَ به المعركةَ الحاسِمة مع



عدوِّهِم جالوت . .

وأَمـر طالـوتُ جيشَه أن يسيـرَ وسطَ صحراءٍ مُحرقةٍ . .

ظلَّ الجيشُ يسيرُ أيّاماً وليـاليَ وسطَ



هـذه الصحـراءِ حتى بـلغَ العـطشُ بالرجالِ كلَّ مَبلغٍ . .

وآنتهىٰ كـلُّ المـاءِ الـذي يَحمِلُه الجُنودُ والضُّباطُ . .

كانت نِهايةُ الرِّحلةِ في الصحراءِ قد آقتربَت ، وكان طالوتُ يعرفُ أن هناكَ نَهراً قَريباً ماؤهُ شديدُ العُذوبةِ ، وقرَّر طالوتُ أن يكونَ هذا النهرُ هو أولَ



آمتحانٍ عمليٍّ لجيشِه . .

جمعَ طالوتُ قادةَ الجُندِ والألويَة وقال لهُم : نَقتربُ الآن من نهرٍ سوفَ يَعبُرهُ الجيشُ . . لا تَشربوا مِن هذا النهرِ . . بلِّلوا شِفاهَكُم وأيديَكُم بالماءِ فقط . .

قال قادةُ الجُندِ : لكن الجيشَ يحسُّ بالعَطشِ . .

قال طالوتُ : من يشربُ من هذا النهرِ فليسَ منّي . . إلا من آغترفَ غرفةً بيدهِ . . ومن يشربُ من النهرِ فَلينسحبْ من الجيشِ . . آعلمُوا أن الله يراكُم .

آنقُلوا أَوامِري للجُنودِ وتَهيّأوا لعبورِ النهرِ . .

نَقلَ القادةُ والضُّباطُ أوامرَ طالوتَ للجُنودِ ، وبدأَ الجيشُ يعبرُ النهرَ . .

كانَ الامتحانُ قاسِياً . . فالدُّنيا شَديدةُ الحَرارةِ ، والماءُ عذبٌ وباردٌ . . والإغراءُ قويٌّ . .

وشربَ مُعظمُ الجنُودِ من النهرِ ولم يَستطيعوا مُقاومةَ الإغراءِ . .

آنتهى عبورُ الجيشِ للنهرِ . .

أَخرجَ طالوتُ كلَّ من عصىٰ أَوامرَه وشربَ من النهرِ . .

كان الجيشُ كبيراً قبلَ أن يعبُرَ



النهرَ ، ولكنّه بعدَ عُبورِ النهرِ وخُروجِ من خرج منه تغيرَ تَماماً . .

آنكَمَشَ الجيشُ إلى أقلّ من النِّصفِ . .

قالَ قادةُ الجيشِ لِطالوت : لقد آنكمشَ عَددُنا كثيراً . . فكيفَ نُقاتلُ جيشَ جالوتَ الهائلِ بهذا العددِ القليلِ ؟

قالَ طالوتُ : ليسَت العبرةُ في

القِتال بعددِ المُقاتلين، المُهم إرادَتُهم .

قالَ القادةُ : لقد خرجَ مُعظمُ الجيشِ . . ولم يبقَ سِوى القليلِ .

قالَ طالوتُ : بل بقيَ الكثيرُ . . لقد خرجَ غيرُ المُخلصينَ . . وبقيَ المُخلصونَ الصَّابرونَ . . والصبرُ طريقُ النصرِ وأداتِه . .

وانخرط الجيشُ في حوارٍ حولَ ما فعلهُ طالوتُ . .

قال أحدُ الجُنودِ : لو أن طالوتَ تَركنا نشربُ من النهرِ لزادَ عددَنا ونحن نُحاربُ جالوتَ . .

قالَ ضابطٌ في الجيشِ : إن العددَ لا يكسبُ الحربَ أبداً . .

تساءَلَ الجُنديِ : ما الذي يُكسِبُ الحروبَ إذن ؟

قال الضابطُ : شيءٌ ليس هو السلاحُ ، وإن كان السلاحُ مُهماً ، وشيءٌ ليس ظاهِراً وإنما هو خفيٌّ . . شيءٌ يُسمُّونَه الرُّوح . . . أو إصرارُ الروحِ على الكسبِ . إن الجُنديَّ الذي لا يَستطيعُ الصّبرَ على العطشِ لا يستطيعُ الصبرَ على حرارةِ المعركةِ وعَطشِها . . والجُندي الذي لا يتبعُ أَوامِر قائِدِه يُمكنُ أن يُؤدِّي لإرباكِ





الجيشِ كُلهِ في المعركِة .

لقَدَ خرجَ من الجيشِ ضعافُ الروحِ .. وبَقيَ الأقوياءُ .. وغداً نَرى مَا نفعلهُ مع جَالوت ..

وشاعَ الإيمانُ العميقُ في الجيشِ وقالَ المُؤمنونَ : ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللهِ وَاللهُ مَعَ ٱلصَّابِرِينَ ﴾ .

مطابع الشروق
القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني ـ هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨ ـ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤
بيروت : ص ب : ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٧٦٥ ـ ٨١٧٢١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر إلى الملإ من بني إسرٰءيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقٰتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال
ألا تقٰتلوا قالوا وما لنا ألا نقٰتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديٰرنا
وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم
بالظٰلمين ۝ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا
قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال قال إن الله اصطفٰه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله وٰسع عليم ۝ وقال لهم نبيهم إن
ءاية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك ءال
موسى وءال هٰرون تحمله الملٰئكة إن في ذٰلك لءاية لكم إن كنتم
مؤمنين ۝ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر
فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف
غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين ءامنوا
معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون
أنهم ملٰقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله
مع الصٰبرين

صدق الله العظيم